[٥]

أمثال في الكرم والبخل

إنهما أمران لا شك في أن كل منا مرّ بهما : الكرم والبخل، الكرم لا شك أنه صفة حميدة تعد من أبرز الصفات التي احتفى بها العرب في العصر الجاهلي – سواء كان من رجل أو امرأة – واالذيم حاولوا جاهدين ببذل كل ما لديهم من أجل تحقق تلك الصفة فيهم ، وانتفاء مقابلها (البخل) عنهم ، أخذوا يكرمون العربي الكريم في قصائد

شعرية مطولة يخصون غرض المدح منها بأبيات شعرية عديدة، ويذمون الرجل البخيل كذلك في العديد من الأبيات الشعرية .

ويتبارى العربي القديم في هذا الميدان ، حيث نجد من العرب من يشعل النيران في الطريق ليستدل بها الناس إلى موضع البيت الذي يقدم من الطعام وخدمات عابر السبيل.

ومنهم من يرسل عبيده للبحث عما يريدون المساعدة ، ومن من يتباهى بعدم انطفاء نار أفرانهم من كثرة طهو الطعام ودوامه حتى يستطيعوا استقبال الضيوف في أي وقت من الأوقات .

هكذا هي الحال عند العربي القديم في الجاهلية حتى أنهم جعلوا نماذجا من الكرماء مضربا للمثل ومثال ذلك : حاتم الطائي ، كذلك في البيئة الإسلامية بالعصر صدر الإسلام لا ننسى ما قدمه من مظاهر كرم وجود من أبي بكر ، وعثمان بن عفان ،.. وغيرهما الكثير الكثير في هذا المجال .

كما تؤكد الأمثال العربية شيوع اقتران العربي بالكرم بوصفه ركيزة أساسية يقوم عليها التواصل و التفاعل الإنساني من خلال مدّ يد العون و المساعدة للآخرين في ظل بيئة خشنة يغلب عليها القحط و الفقر ؛ نظرا لقلة المياه ، وقلة الأمطار ،وكثرة التنقت للرعي ، والبحث عن مصادر للمياه.

❖❖❖

وتلك نماذج من الأمثال التي تبين قدر واعتزاز العربي بصفة الكرم و التباري من أجل التحلي بتلك الصفة وهي على النحو التالي:

[١] [أَسْخَى مِنْ الْبَحرِ إِذَا زَخَرَ] .

من لغويات المثل : أسخى : أكرم ، زخر : امتلأ

وعن المعنى العام للمثل : إذا كان البحر جوادا معطاءً فكذلك الإنسان حينما يكثر من عطاياه فهو مثل البحر في الكرم.

وعن مورد المثل و قصته : فعن مورد المثل و قصته :أصل المثل أن معاوية بن أبي سفيان حبس عن الحسين بن عليّ صلاته، حتى ضاقت عليه حاله ، فقيل له : لو وجهت إلى ابن عمك عبيد الله بن العباس ، فإنه قدم بنحو من ألف ألف درهم!.

فقال الحسين: وأين تقع ألف ألف من عبيد الله ، فوالله لهو أجود من الريح إذا عصف ، و أسخى من البحر إذا زخر، ثم وجه إليه مع رسوله بكتاب ، ذكر فيه حبس معاوية صلاته عنه وضيق حاله ، وأنه يحتاج إلى مائة ألف درهم.

فلما قرأ عبيد الله كتابه انهملت عيناه ، ثم قال : ويلك يا معاوية مما اجترحت يداك من الإثم حين أصبحت لين

المهاد ، رفيع العماد ، والحسين يشكو من ضيق الحال ، وكثرة العيال! ثم قال لقهرمانه : احمل إلى لاحسين نصف ما أملكه من فضة و ذهب وثوب ودابة ! و أخبره أني شاطرته مالي ، فإن أقنعه ذلك و إلا فارجع و احمل إليه الشطر الآخر . فقال له القيم : فهذه المؤن التي عليك من أين تقوم بها ؟ قال : إذا بلغنا ذلك دللتك على أمر تقيم به حالك.

فلما أتى الرسول برسالته إلى الحسين، قال : إنّا لله وإنا إليه راجعون !حملت والله على ابن عمي . وما حسبته يتسع لنا بهذا كله . فأخذ الشطر من ماله ؛ وهو أول من فعل ذلك في الإسلام.

ويضرب المثل : في السخاء و العطاء ، والوقوف إلى جوار المحتاج ، و العمل على فك ضيق ذا فاقة.

و في بيان قيمة الكرم ، والحضّ عليه.

و أما عن ذلك المثل في حياتنا اليومية :مظاهر عطاء الإنسان في الحياة كثيرة ومتعددة:

- فإذا ما طلب منك إنسان المساعدة فلا تبخل فإن الله يزيد أضعاف ما أعطيت.
- السعي وراء قضاء حاجة إنسان عطاء.
- السعي في علاج مريض عطاء.
- دفع دين عن إنسان عطاء

❖❖❖

[٢][بَيتِي يَبْخَلُ لَا أَنَا] .

من لغويات المثل : بيت : دار ، يبخل : يمسك ولايعطي

وعن المعنى العام للمثل : لحرص المراة على بيان كرمها وانتفاء بخلها ،فإنها تنسب البخل للبيت وليس لها.

وعن مورد المثل : أصل القصة أن امرأة دفعت عن نفسها تهمة البخل حينما سُئلت عن شئ تعذّر وجوده عندها، فقيل لها " بخلتِ " ، فقالت " بيتي يبخل لا أنا ".

فيبدو أن سمة الكرم انتقلت بالعدوى من الرجل إلى المرأة حيث لا تقتصر على جنس دون جنس ، ففي المثل يتبدى ردّ فعل المرأة التي خشيت رميها و اتهامها بالبخل ،فأسرعت تسند البخل إلى ما لا يعقل وهو البيت في محاولة لنفيه عن نفسها ، فكان ردّها سائل الحاجة دون مساعدته عيب كبير فاضح.

و عن مضربه : يضرب في الحرص على الاتصاف بصفة الكرم

ومثله في حياتنا اليومية: كونك تعطي مما تُطَّعم فإنك جواد ، وكونك تعطي أقل القليل مما تمتلك من مال فإنك جوّاد ،وكونك تعطي اليتيم وترعاى الضعيف وتساعد المحتاج وتزور المريض فإنك جواد ضحيت بمال أو بوقت أو بملبس أو .... من أجل سعادة الآخرين.

[٣] [أَقْرَى مِنْ زَادِ الرَّكْبِ] .

من لغويات المثل : : أقرى : طلب الضيافة .

وعن المعنى العام للمثل: يبين المثل قدر الكرم عند العربي القديم.

وعن مورد المثل و قصته: هذا المثل مِن أمثال قريش، ضربوه لثلاثة مِن أجودهم: مسافر بن أبي عمرو بن أميَّة، وأبي أميَّة بن المغيرة، والأسود بن عبد المطَّلب ابن أسد بن عبد العُزَّى، سُمُّوا زاد الركب؛ لأنَّهم كانوا إذا سافروا مع قومٍ لم يتزوَّدوا معهم أي يكفوهم التزود حيث يجعلون طعامهم وشرابهم على حساب هؤلاء الكرام

وعن مضربه : يضرب في بيان قيمة الكرم والحرص على التحلي بتلك الصفة

و أما عن ذلك المثل في حياتنا اليومية :قد يرى البعض ما قد يجود به ينقص مما لديه،ولكنه لو فكر لثانية واحدة فإنه سيكتسب الكثير الكثير عند العطاء : محبة الله ، ومحبة الناس ، راحة النفس و الضمير و الثقة لأنه أسعد آخرين.

[٤] [أَقْرَى مِنْ مَطَاعِيمِ الرِّيحِ].

من لغويات المثل : أقرى : طلب القِرى و الضيافة

وعن المعنى العام للمثل حينما يزايد إنسان في كرمه يقال له أنهزاد عن المطاعيم الأربع.

وعن مورد المثل و قصته : أرعة من رجال العرب :كِنَانة بن عبد ياليل الثَّقفي عمُّ أبي محجن، ولبيد بن ربيعة، وأبوه، كانوا إذا هبَّت الريح الشديدة أطعموا النَّاس، وخصوا الصَّبا لأنَّها لا تهب إلَّا في جدب

و عن مضربه : يضرب المثل فيمن يبالغ في كرمه

ومثله في حياتنا اليومية: قد يضحى الإنسان الكريم الجواد بأعز ما لديه لأجل إسعاد المحتاج كما ضحى العربي القديم بذبيحته الوحيدة لديه من أجل إطعام محتاج أو ضيف.

[٥] [أَجْوَدُ مِنْ هَرَم].

من لغويات المثل : أجود : أكرم ، هرم : هرم بن سنان

وعن المعنى العام للمثل: حينما يكثر الرجل من كرمه فكأنه زاد عن هرم بن سنان في كرمه.

وعن مورد المثل و قصته وهو هرم بن سنان ، و الذي قال فيه زهير بن أبي سلمى مادحا إياه في شعره :

من أهل بيت يرى ذو العرش فضلهم
يُبنى لهم في جنان الخلد مرتفق

وسأل عمر بن الخطاب ابنة هَرِم بن سنان : ما الذي أعطاه أبوك زهيرا حتى قابله من المديح بم قد سار فيه ؟ فقالت :أعطاه خيلا تنضى (تبلى) ، و إبلا تتوى(تهلك) وثيابا تبلى ، ومالا يفنى . فقال عمر وقد أعطاكم زهيرا ما لا يفنى.

وعن مضرب المثل: يضرب في الحض على الكرم عن طريق ذكر فضائله

❖❖❖

إذا نظرت و تأملت في تلك الأمثلة التي سيقت في الكرم أو حتى في البخل تجد:

(١) الكرم من الصفات المحمودة و التي يقبل على التباهي بوصفها الإنسانُ .

(٢) البخل صفة ذميمة يحاول الإنسان : رجلا أو امراة البعد عن الاتصاف بها .

(٣) البخيل إنسان مكروه بين الناس جميعا .

(٤) الكريم إنسان يعطي عن طيب خاطر .

(٥) من الأسباب التي تجعل الإنسان خالد الذكر صفة الكرم كحاتم الطائي.

(٦) لا فرق بين رجل أو امرأة في التحلي بصفة الكرم ، أو التصاقهما بصفة البخل.

(٧) صاحب المكاسب كل جواد معطاء .

(٨) الكرم ينمي ما عند الإنسان و البخل يضيع

و إليكم بعضا من الأمثلة التي لم يرد فيها قصة و لا نسب لصاحبها وتلك المجموعة التي وردت غير معلوم لها موردها أو حكايتها أو قصتها الأصلية سقناها لكم للفائدة :

١- { الْجُودُ مَحَبّةٌ ، وَ الْبُخْلُ مَغَبَةٌ }

من لغويات المثل: الجود : الكرم ، مغبة : عادة ذميمة نعايتها عاقبة مرملة

وعن المعنى العام للمثل: من أسباب محبة الناس للإنسان كرمه ، ومن أسباب الكره فيه بخله

وعن مضرب المثل: يضرب لبيان الأثر الحميد للكرم ، والأثر الذميم للبخل

❖❖❖

٢- { أَبْخَلُ مِنْ ذِي مَعْذِرَة }

من لغويات المثل : أبخل : شحيح و ممسك ، ذي : صاحب

وعن المعنى العام للمثل:

حينما يمسك الإنسان عن العطاء فهو يكون أقل من تلك الشخصية المسماة (ذي معذرة) وهي معروفة بالبخل

وعن مضرب المثل: وهذا مأخوذ من قولهم في مثل آخر: المعْذِرة طرف من البخل

❖❖❖

٣- { أَبْخَلُ مِن الضَّنِينِ بنَائلَ غَيره }

من لغويات المثل : ضنين : شديد البخل.نائل : غطاء الطعام المغروف

وعن المعنى العام يعبر عن شدة البخل بغطاء إناء الطعام الفارغ

وعن مضرب المثل: هذا مأخوذ من قول الشاعر:

وإن امرأ ضنت يداه على امرئ

بنيل يد من غيره لبخيل

❖❖❖

٤- { مَا يَبِضُّ حَجَرُهُ }

من لغويات المثل : يبض : اشتد ،وسقط ،وكذلك أدنى مرتبة من الشح

وعن المعنى العام للمثل: والمثل يبين قلة منزلة الإنسان البخيل بين الناس

وعن مضرب المثل: وهو أدنى ما يكون من السيلان، يضرب للمتناهي في البخل

❖❖❖

٥- { أَبْخَلُ مِن صبيٍّ ومِن كَسع }

من لغويات المثل : صبي : غلام ، كسع : اسم رجل بخيل

وعن المعنى العام للمثل: قالوا: هو رجل بلغ من بخله أنه كوى اسْتَ كلبه حتى لا ينبح، فيدل عليه الضيف

وعن مضرب المثل: يضرب المثل لبيان سوء البخل

❖❖❖

٦- { أَبْخَلُ مِن مادِرَ }

من لغويات المثل : مادر : رجل من بني هلال بن عامر بن صعصعة

وعن المعنى العام للمثل : بلغ مادر من بخله أنه سقى إبله، فبقي في أسفل الحوض ماء قليل، فسلح فيه، ومدر الحوض به، فسمِّي مادرًا لذلك، واسمه مخارق

وعن مضرب المثل: يضرب كذلك لبيان كراهية الناس للبخيل

٧- { أَبْخَلُ مِن أَبي حَبَاحِب ومِن حَبَاحِب }

من لغويات المثل : حباحب : اسم رجل بخيل

وعن المعنى: حينما يمسك الإنسان فهو يكون أقل من تلك الشخصية المسماة (حباحب) وهي معروفة بالبخل

وعن مضرب المثل: قالوا هو رجل من العرب كان لبخله يوقد نارًا ضعيفة، فإذا أبصرها مستضيء أطفأها

٨- { أَلأم من راضع اللبن }

من لغويات المثل : ألام : أُحاسب وأعاتب

وعن المعنى العام للمثل : هو رجل من العرب كان يرضع اللبن من حلمة شاته، ولا يحلبها مخافة أن يسمع وقع الحلب في الإناء، فيطلب منه

وعن مضرب المثل: يضرب للدلالة على شدة البخل

٩- { خُذِ القليلَ مِن اللئِيم وَذمّه }

من لغويات المثل : اللئيم : دنئ النفس

وعن المعنى العام للمثل: إذا أخذت شيئا من اللئيم فأعرف أنه سيكون شيئا قليلا

وعن مضرب المثل: يقصد أن اللئيم ، والبخيل لا يستحقان الشكر

١٠- { أَسْخَى مِنْ حَاتِم الطَّائِي }

من لغويات المثل : أسخى : أجود و أكرم

وعن المعنى العام للمثل : حينما يزيد الإنسان من العطاء فإنه يزيد عن كرم حاتم الطائي

وعن مضرب المثل: وهو ضرب به المثل في الكرم و العطاء و المثل هنا للمبالغة في الكرم

١١-{ يُصْبِحُ ظَمآنَ ، وَالْبَحرُ فِي فَمِهِ }

من لغويات المثل: ظمآن : صفة بمعنى عطشان

وعن المعنى العام للمثل: البخيل دائما طماع لا يشبع أبدا ولا يرتوى حتى ولو كان في فمه بحرا

وعن مضرب المثل: يضرب المثل في البخل الشديد.

١٢{ أَقْرَى مِنْ حَاسِي الذَّهَبِ }

من لغويات المثل : أقرى : طلب القِرى و الضيافة.

وعن المعنى العام للمثل: أقرى : طلب القِرى و الضيافة.

وعن مضرب المثل : يضرب المثل في بيان جمال صفة الكرم والتحلي بها.

❖❖❖